الخصائص الأسلوبيّة في مجموعة أرض الحكايا))*

بقلم: أ.م.د. ادريس عبدالله الكوردي/ إقليم كردستان العراق

وظائف القاصة في هذه المجموعة

للقاص وظائف عدة في كتابة قصصه، من دونها لا يقبل قصصه و تكون مجرد أحداث لا جمال فيه، ولا إضافة، ولا لذة، للقاريء الذي ينتظر منه المزيد مما يجذبه لقراءة قصصه.

لذا دور القاصة الدكتورة سناء في كتابتها لقصصها دور متميز، فقط أدى وظيفتها بشكل رائع و جميل.. نشير هنا الى أهم وظائفها كقاصة لقصص هذه المجموعة (أرض الحكايا).. وهي:

أولا: الوظيفة الوصفية:

في قصص هذه المجموعة نرى وصف الكاتبة للأشخاص والأحداث والأماكن والبيئة، وصفا جميلا، كأنها أمسكت

بيـدها الكـاميرا و تصـور مـا هـي مطلـوب ولهـا دور مهـم فـي إيصال رسـالتها، فمثلا:

1 ـ تصـف عصـاً لشخيصـة قصـتها (ش)، توصـفها بدقة، تقول:

((وائح والأصـوات، كمـا يعـرف قيمـة الـرّ ـاً قيمـة ذلـك الحجـر المـدبّب الـرّأس المثبـت إلـى طـرف عصـا طويلـة قويّــة قطعهــا مــن أحــد الأشــجار البريّــة المعمّــرة فــي الجزيرة)).. ص 14

2 ـ وتصـف مـا تتمنـى شخصـية قصـتها (صـديقي العزيـز) فتكتب:

((بين كلّ محطّةٍ اليقظـة والصّـحوة، تمنّـتْ أن يُطـلّ بقـامته الصّـغيرة، وبيـديه الـدّافئتين، ليقفـل بـاب المقصـورة، وليضـع سـترته علـى كتفيهـا كعـادته؛ لتشـعر بشـيءٍ مـن الـدّفء، لكنّـه لـم يُطلّ)).. ص 93

3 ـ وفـي قصـتها (اللوحـة اليتيمـة)، تصـف شخصـية طـارق الرسـامّ (اف)، وهـو فـي حالـة سـرور كـبيرة، لنيل لوحتها الحصول على المركز الأول في مسابقة الذي أعلـن عنهـا المركـز الثقـافي الملكـي..فتصـف القاصـة حالـة طارق، بعد سماعه لأحراز هذه المرتبة، الذي طالما كان يحلم بها، وتقول:

ـ ((غادر طارق المركز الثقافي، وسعادة الدنيا تحرسه ، فكّر في أن يوقف كلّ مارٍ في الشارع ، ليخبره بأنّه الفائز بالمركز الأوّل ، حدّث نفسه باحتضان سائق الباص ، وتقبيل مساعده الغليظ ، والزعق بأعلى صوته " أنا الفائز بصعوبة أحتوى فرحته، وسّرّها لحين عودته إلى البيت .

كان ينوي أن يقسّم كلّ مدخراته المتواضعة بين رسوم رحلته المدرسية إلى الحّمة السورية، وبين نفقاته الشخصية في تلك الرحلة ، لكن نظراً للظرف السعيد الطارئ ، فقد بات من المؤكّد أنّ عليه أن يقسّم مدخراته بين الرحلة ونفقاته، وبين ثمن ابتياع إطار جميل ومناسب للوحة غوّار ، التي ستتبوأ المركز الاول في الحفل الذي سيقام الأسبوع القادم ، وبهكذا تدبير سوف يحصل على الحسنيين: الرحلة والجائزة)).. ص 105

ثانيا: الوظيفة التوثيقية:

وفيها تقوم الكاتبة دكتورة سناء بتوثيق بعض قصصها، أو مقاطع من بعض القصص، من مآثر أبناء جلدتها في انتصاراتهم، ومواقفهم الحضارية الجميلة، فها هي تمجد الموقف الحضاري للراعي والرعية، الذي قلما نرى مثلها في التأريخ، وهي ناتج عن الموقف الشجاع للصحابي الجليل سلمان الفارسي (رضي اللهـ عنه) مع الخليفة الراشد (أمير المؤمنين) عمر بن خطاب (رضي اللهـ

ي أيامنا أشواً) لهذه الشجاعة من الرعية (المواطن) ولا الراعي (الرؤساء)، مثلما نقرأه من تلك المشهد التأريخي الذي دونت بماء الذهب في قلوب المسلمين، وفي بطون أمهات الكتب.. فكتبت: ((سلطان الزمان كان يرفس سعيداً بقدميه، وهو يقرأ عن سلطانٍ في الزمن الغابر قال له أحد رعاياه المسمّى سلمان الفارسي : " ولا طاعة ، لانسمع"؛ لأنّه خصّ نفسه بذراع إضافي من القماش دون رعيته، فلما ظهر عدله ، وأثبت أنّه أخذ ذلك الذراع من ولده عبدالله، قال له سلمان الفارسي: " الآن سمعاً وطاعة، قل ونحن نسمع " . وعندما لام الناس الرجل على فعلته قال لهم السلطان الخرافي في عدله : "لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها".. أعجبه ذلك الرجل العادل)).. ص 56

ثالثا: الوظيفة التربوية

وهنا يؤكد القاص على أخلاقيات وقيم حضارية، ليكون للقاريء دور ايجابي في الحياة، والكاتبة الدكتورة سناء في هذه القصص، تريد من ما وراء مشاهدها وجملها أن تقدم رسالة تربوية إلى المواطن العربي، كي يستقرؤا واقعهم، ويكونوا أذكياء أقوياء، لا أن يبقوا كما هم فيها، ضعفاء جاهلين، لأن الخلاص لا يأتي الا من الذكاء والعلم والإقدام والقوة.

رابعا: الوظيفة التشويقية

التشويق أمر ظروري في تأسيس بنية النص الأدبي، هو أن يبعث القاص على ما تحبه النفوس المتعبة، ويتجمل عباراته وفقراته بها.. وللدكتورة سناء، يد طولى في هذا المجال، حيث قصصها شيقة و جميلة يجبها القراء.. نحو :شعرها الأوّ ((ل هو أبرز ما طالعه في الصندوق الاحمر، قلّبه على غير عجل، ثم قرأ قصائده، إذ رأى نفسه يتربّع في كلّ الكلمات، وإن كان يبرز باختيال وبألوان برّاقة في خاتمة ديوانها إذ كتبت بنوح نسائي قلبها الرّ- :" ه سيكتب لي كلمات مائية، تسبح فيها أسماك أسطورية ملوّنة، وتغرق فيها مدن من الأحلام والأوهام، وترسو فيها سفينة العمر، قال لي إنّه سيكتب لي كلمات بخيوط الشمس، وبجموح السراب، قال لي إنّه سيهديني كلمة الحب العظمى، وصدّقته، ثم غاب، وما غاب انتظاري له، ولا غاب انتظاري لكلماته المشتهاة، وما أكثرها من كلماتٍ كانت!! ليته عاد، وغابتْ الدنيا")).. ص 51

حتى أن كم هي حبيبته امرأة جاهلة !! ها تجهل البحر وعالمه، ولا تفرّق بين اللؤلؤ الحقيقي أو المزيّف، وعندما أخبرها آسفاً بعجزه عن شراء عقد اللؤلؤ الذي تطلبه، لأنّه باهظ الثمن، تبسّمتْ وفي عينيها هدوء غريب عن طبعها، وقالت له بدفء نبرة الأمهات :" إذن احضر

لـي عقـداً مـن اللؤلـؤ المزيـف، وسـأبدي بـه سـعادة لا تقـلّ عن سعادتي باللؤلؤ الحقيقي")).. ص 49

فهـذه العبـارات وأمثالهـا مشـوقة جـدا، وتجـذب القـارئْ ليواصل القراءة.

خامسا: الوظيفة النقدية

النقـد هـو وسـيلة القـاص لتغيـر مـا يـراد تغيـره، والكـاتب الجريـء يمليـء قصصـه بمواضـيع ذات صـبغة نقديـة، يـدعي ورائه تـرك الواقـع الهزيـل، واللجـوء الـى عيشـة راقيـة، يليـق بأهميـة الأنسـان ودوره فـي الحيـاة.. وقصـص الـدكتورة سناء، مليئة بنقدها الساخر، والمبنى على

وطـويلاً أنّ ((تـأتيه رسـالة مـن مـواطن مـا ، وتخيّـل كـم سيسـتمتع بعبثـه مـع مرسـلها ،وطـال انتظـاره، ولـم تصـله أيّ رسـالة ،عنـدها غضـب بشـدة ، وأمر أنّ تُرسـل له الرسـائل وإلاّ سيغضب ويخسـف الأرض برعيتـه ، ويجعـل ماءهـا غـواراً، ويسـقط سـماءها قطعـاً. سـمعت الرعيـة عـن غضـب السـلطان واشـتد رعبهـا . فـي تلـك الليلـة وصـلت إلـى السـلطان رسـالة صغيرة ، كُتبت بيدٍ فضولية ، فضّ السـلطان الرسـالة على عجـلٍ وبفضـولٍ ، وأمـرّ كهرمـانه أنّ يقرأهـا ، قـرأ الكهرمـان الرسـالة بعينيـه،ثم ابتسـم ، ثـم شـعر بقلـق حيـال مـا سـيقرأ، وللحظـات شـعر أنّـه سـيكون أوّل ضـحايا البـاب المفتوح ، قال السـلطان له:"ما بالك ؟اقرأ..."

بلع الكهرمان ريقه ،وبدأ يقرأ ما ورد في الرسالة التي كُتب فيها:" مولاي أنا ابن المزارع دهبور ، عمري تسع سنوات،أريد أنّ أعرف لماذا منعتَ الرعية من شرب الحليب مع أنّه مفيد للصحة، أحقاً إنّك تملك بحيرة من الحليب تسبح فيها محظياتك لينعمن ببشرة جميلة؟!!!!

ضحك السلطان طويلاً مما سمع , ثم صمت ، ثم أزبد وأرعد، وأعلن أنّ سياسة الباب المفتوح قد عُلّقتْ إلى الأبد ؛ لأنّ الباب سيغلق، وعلى بابه أُعدم ألف طفل ثبت أنّهم يشربون الحليب في الأحلام ، والمحتجّون على استحياء كبلّهم جنود السلطان بأغلالٍ وسلاسل من ذهب ، ثم أرسلهم الى قصة أخرى ،وكان حريصاً على أنّ يكون في قصتهم وحوشٌ كاسرة وأرضٌ بلا لبن .. وقلب الصفحة..)).. ص 60

شخصية القاصة في هذه المجموعة

القاصة الدكتورة سناء شعلان في هذه المجموعة من قصصها، تكتب كراوية تعرف كل شيء، فتروي بضمير الغائب (هو)، أو (هي)، أو بإسم البطل طارق، أو بتسمية (الرجل) و تتحدث مرات بضمير (أنا)، وهكذا.

حضور القاصة في هذه القصص موجود في كل المشاهد، وفي كل الحالات، وبهذا يكون تأثير قصصها في

نفـوس قرائهـا كـبيراً، لأنهـم يظنـون أن مـا يقـرأون علـى مصداقية جيدة، وواقعية وقعت في الحقيقة.. فمثلا:

ة باسـم أمّـ ((ي،
حتّى وهي تضربه بخرطوم الماء البلاستيكي الأزرق الذّي برى طفولته)).. ص 63

هيقاً عميقـاً ((، ثـمّ
تغمـض عَيْنَيْهـا، وتنزلـق فـي الهـواء، تنزلـق فيـه كسـمكةٍ منسـربة بأجنحةٍ من نور، تواجه الرّيح بجسـدها المشـروخ وعَيْنَيْها المستكينَتَيْن، وابتسامتها الغارقة في الهواء، تفكّر كـثيراً فـي أن تقابـل الرّيـح بنظـرةٍ متحدّيـة تشـمل الفضـاء والأرض وطيورهما،)).. ص 81

فقـد قـر لأنّـه رجـلٌ محظـوظ جـ(اً !! ر أن يشـارك
عصبة من المعارف في مشروعهم السّري ، فلعلّ العصبة تتـوزّع معـه الحـظّ الجيـد الـذي يلاحقـه دائمـاً، ويصـبّ عليـه جـام مصـائبه، مـع أنـه يخشـى علـى الأصـدقاء وعلـى المشـروع كذلك من سـوء طالعه الذي يلاحقه منذ وُلِد ، فقد ماتت أمّه في لحظة انزلاقه رخواً دبقاً إلى الحياة ، وبحضـوره الميمـون يتّـم أحـد عشـر شـقيقاً وشـقيقة. زوجـة أبيـه المطلّقـة رفضـت أن تتصـدّى لرعـايته،فقد وُلـد ضـعيف البنيـة ،دائم العلّـة يحتـاج إلـى وافـر رعايـة، فـورثته العمـة العاقر الأرملة ، التي ربته كما تُربي دجاجة أو غنمة صغيرة

، القليل من الطعام، والأقل الأقل من العناية. الأخوة لم يذق منهم سوى ذكرى مجاملات لطيفة،وأنس سرعان ما يتبخّر من نفسه كلما زار بيت أحدهم، فيغادر دون أن يلفي في نفسه سوى امتنان الضيف لحسن الاستضافة)).. ص 109

((له الذّي يفضّ

وينتظره منذ ساعات، بالمخدّر والتّسكين، حقنه الطّبيب الذي أخذ ملاحظاتٍ سريعةً عن تاريخه المرضيّ من خلال جملٍ قصيرةٍ ومتلاحقةٍ قالها ملخّصاً تاريخه المضني مع ألم الأسنان، وأنهاها بذكر اسم طبيبه، وأسماء الأدوية والمسكّنات التّي تواتر عليها أثناء علاجه السّابق وقبل السّابق، وبعد معاينةٍ متفحّصةٍ، راقب فيها عينَيّ الطّبيب الأشيب، المنزلقتين في تجويف فمه؛ بحثاً عن موطن الألم وسببه، استلّ الطّبيب حقنةً مخدّرٍ واثنتين وثلاث، وحقن لثّته بهنّ، وقليلاً قليلاً، بدأ الألم بالفتور، وأصبح من الممكن أن يتملّى في وجه طبيبه شبه المسن، الذّي أسند كفّي يديه على خاصرتيه، اللّتين تعلوان قدمين منفرجتين بثباتٍ على الأرض، وهو ينتظر أن يسري المسكّن في سائر لثّته كي يبدأ طقوس العلاج والحفر والتّرميم، كما أصبح من الممكن أن يدير نظرةً متفحّصةً في العيادة الصّغيرة، التّي تحتوي على القليل من الأدوات

النّظيفــة، والأثــاث الرّيفــيّ الأنيــق الــذّي لا يخفــي ذوق صاحبه)).. ص 138

سـرير أتـأفّ ((ف مـن صـوت

الزحام، أمّا اليوم الثاني والثالث فلا أذكر منهما الكثير عن علاقتي بالغرفة؛ لأنّني كنت أعود من عملي متعباً بالكاد أتلمّس فيها طريقي إلى السرير)).. ص 154

الأنزياحات

تعد ظاهرة الانزياح الأسلوبي من الظواهر المهمة في الدراسات الأسلوبية والشعرية الحديثة التي تدرس النصوص ألأدبية على أنها لغة مخالفة للمألوف، فقد اهتمت الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة بظاهرة " الأنزياح " كونها من أساسيات ما تقوم عليه جماليات النصوص الأدبية. (أسيل محمد صالح الدليمي، الأنزياح الأسلوبي، 2016).

الأنزياح هو خروج الكلام عن نسقه المعتاد أو ما ألفه اللسان وذلك ليخدم النص بصورة أو بأخرى. ويعد الأنزياح من أهم ما قامت عليه الأسلوبية من ركائز ويعود سبب ذلك الى أن الأسلوبية منذ نشأتها جعلت من الأنزياح عمادها في نظرياتها ، حيث يرى ليو سبيتزر (Spitzer Leo): أن الأسلوبية " تحلل استخدام العناصر التي تمدنا بها اللغة، وأن ما يمكن من كشف ذلك الأستخدام

هـو الأنحـراف الأسـلوبي الفـردي ومـا ينتـج مـن انزيـاح عـن الأســتعمال العــادي. (الأســلوبية وتحليــل الخطــاب، نــور الــدين الســيد.. وهــو مــن رســالة أســيل محمــد صــالح الدليمي)

وهـو اسـتعمال المبـدع للغـةِ، ومفـردات وتراكيـبَ وصـوراً،)) اسـتعمالاً يخرج بها عمّا هو مُعتاد ومألوف بحيث يؤدّي ما ينبغي له أن يتّصف به من تفرد وإبداع وقوّة جذب وأسـر)) (موقـع: الدراســات اللغويــة، جامعــة ريــان عاشــور، كليــة الآداب، 4/ شباط/ 2017)

وإذا درسـنا البلاغة وتجولنا في علومها، علمنا بأن علومه الثلاثة مبنية على الانزياحات الكثيرة:

علـم البيـان بفنـونه يبنـى علـى الأنزياحـات، فمثلا: تعـد الكناية أنزياحا لأن فيها عدولا عن التصريح بالمعنى المراد اثباته الـى ذكـر مـا يلـزم مـن هـذا المعنـى.. والاسـتعارة هـي الأكـثر انزياحـاَ مـن الكنايـة، لأنَّ القرينـة فـي الكنايـة لا تمنــع مــن ارادة المعنــى الحقيقــي تمامــا، ولكــن فــي الاستعارة، القرينة تمنع المعنى الحقيقي.

والمجاز هـي الانزيـاح فـي كـل الأحـوال، ذلـك لأن المتكلـم بالمجـاز، يتكلـم ايجـازا، فيحـذف الفاعـل الحقيقـي، ويسـند الفعـل أو مـا فـي معنـاه الـى فاعـل أخـر مجـازي، لعلاقـة بينهما، ليست بعلاقة التشبيه، أنما هي علاقة الزمان، أو المكــان، أو الســببية، أو المســببية، أو الفاعليــة، أو المفعولية، أو المصدرية، أو الجوارية، أو أية علاقة أخرى.

وفنون المعاني، من الخبر المجازي ومباحث الإنشاء المجازي (الأمر ـ النهي ـ الاستفهام ـ النداء ـ التمني)، كلها أنزياحات عن المعنى، أو التركيب، إلى معنى جديد مجازي يثير في النفوس، وتركيبة جديدة تكون أكثر تأثيرا من واقعها القواعدي.

وفنون البديع أكثرها أنزياحات عن المعني، أو التركيب، ليكون وقعتها في النفوس أكبر، وصداها أطول، وتأثيرها في النفوس أجمل.

فالانزياح بصورة عامة يمثل أساس البلاغة، لأنها لا)) تتحقق إلا عن طريقه لغويا ودلاليا، فهو المعطى الأسلوبي والدلالي في العصر الحديث ، والذي يجنح إليه الأدباء والكتاب والشعراء في أعمالهم وأشعارهم لأنه عماد الأعمال الشعرية وسبب ارتقائها عما دونها من الكلام العادي)) (صونيا لوصين و سارا كرميش، الأنزياح الدلالي في الألفاظ العربية).

وكل ذلك يجعل من لغة النص النثري ـ القصصي لغة مملوئة بالشعرية، وجميلة راقية، تفرض نفسها لأن تكون موضع دراسة الأسلوبيين، والنقاد، والبلاغيين.

و لذلك ((اهتم البلاغيون وفلاسفة اللغة على حد سواء بالمجاز كونه ظاهرة لغوية معقدة، وشغلت قضية اللفظ والمعنى، المركز الأهم عندهم؛ استنادا إلى فكرة التقابل بين الكلام العادي والكلام الأدبي .وهي الفكرة التي حدد الفلاسفة على أساسها إطار الشعر والخطابة، لأنهما يمثلان هرم القول البليغ وإن تفاوتا في الدرجة))

(الانزياح الدلالي وأثره في تطور اللغة، د. بن الدين بخولة)

وقصص الدكتورة سناء و مجموعنها التي تناولناها، في هذه الدراسة، مكتوبة بلغة أدبية رائعة، مملوئة بالشعرية وفنونها، ولذلك أقدمنا البحث فيها.

التناص

مفهوم جديد أدخلته الناقدة (جوليا كريستيفيا)، الى)) حقل الدراسات الأدبية، في أواسط الستينات من القرن العشرين، أخذته عن (باختين) الذي اكتشف مفهوم الحوارية (البوليفيونية، أو: تعدد الأصوات) عام 1929، وعدته وظيفة تناصية تتقاطع فيها نصوص عديدة في المجتمع والتأريخ، وسمته (أيديولوجيما)، ولكن تسمية (ألتناص) هي التي شاعت وأنتشرت، بشكل سريع و مثير، وأصبح التناص مفهوما مركزيا ينقل من مجال دراسي ألى الأخر)).. (شعرية الخطاب السردي، محمد عزام، ص 113).

كما عرفها مؤسسها ـ جوليا كريستيفيا ـ ((التناص هو ذلك التقاطع داخل التعبير مأخوذ من نصوص أخرى)) (د. ربى عبدالقادر الرباعي، البلاغة العربية وقضايا النقد المعاصر، ص 203)

وبمعنى أخر: ((التناص هو حضور نصي في نص أخر، (كالأستشهاد والسرقة وغيرهما)) (محمد عزام، ص 114

تناص مع القرآن الكريم

ـ ((الويل لقلب عشق أكذوبة الجزر)).. ص37

تناص مع أسلوب القرآن الكريم في قوله : [لَّ
لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ
عِنْدِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ
أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ].. البقرة:79.

تناص مع أسلوب الحديث الشريف

ـ ((إيّاك أن تصدقي أكاذيب الجزر)).. ص37

تناص مع أسلوب الحديث، كما جاء: ((إياكم
والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار
الحطب))

كلّ خليةٍ ((من خلاياه بوقع الكلمات
السحرية، وامتلأت نفسه نشوة لم يعرفها من
قبل)).. ص73

سحر الكلمات تناص من رسالة ذلك الحديث
الشريف، الذي يقول فيه رسول الله ـ (صلى الله ـ
عليه وسلم): ((ألا أن من البيان لسحرا)).

تناص مع القصص القديمة

ـ تناص مع قصة الخليفة العادل عمر بن خطاب 1
مع الصحابي الجليل سلمان الفارسي (رضي الله ـ
عنهم)

س سعيداً ((بقدميه،
وهو يقرأ عن سلطانٍ في الزمن الغابر قال له أحد
رعاياه المسمّى سليمان الفارسي: " لا سمعاً
ولا طاعة لأنّك نمت
" نفسه بذراع
إضافي من القماش دون رعيته ، فلما ظهر عدله ،

وأثبت أنّه أخذ ذلك الذراع من ولده عبدالله ، قال له سليمان الفارسي : " وطاعة ،قل سمعاً ونحن نسمع " . وعندما لام الناس الرجل على فعلته قال لهم السلطان الخرافي في عدله : لا خير فيكم إن لم تقولوها،ولا خير فينا إن لم نسمعها"

أعجبه ذلك الرجل العادل، وذكّره بشيءٍ لا يعرفه، وبنكهة لم يذقها ، انتفخت أوداجه سروراً ، وكاد يهلّل في مكانه ، بل أنّ ينزل عن تخت ملكه ، لكنّ بطنه المتكوّم أمامه أعاق حركته)).. ص57

هذه القطعة فيها تناص مع قصة الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن خطاب والصحابي الجليل سلمان الفارسي (رضي الله عنهم)، الشهيرة.. والتي تعبر عن حالة حضارية رائعة، تفتخر الانسانية وتحلم بها في كل لحظة من لحظات حياتها.. وكذلك الدكتورة سناء أجملت بها قصتها الرائعة، وهذه رومانسية في عصر تفتقد الحرية و العدل فيها، والجميع يغني لهما.. ولكن دون نفع!!

ـ تناص مع قول لفرعون 2

والويل للرعية إنّ ((لم تقل ما تقوله)).. ص 55

تناص مع الواقع الذي يعيشه الدكتاتور في اي وطن، لأن مثل ما قال فرعون لشعبه ((ما أريكم الأ ما أرى.. وما أهديكم الى سبيل الرشاد)).. والعكس صحيح تماما، إذ رأى شعبه الفساد والطغيان والإضطهاد والتعاسة،

ودمرهم تدميرا، فهذه سحرة فرعون، عندما أظهر الله لهم الحق على عصا موسى، أنهم أمنوا وسجدوا لله، ولكن فرعون لم يقبل بأيمانهم، لإنه يضر بمصلحته ورؤياه لحياته، فانتقم منهم وقتلهم شرَ قتلة.

وهذه ماشطة آل فرعون، عندما مشتط راس بنت لفرعون، قالت ((بسم الله الرحمن الرحيم)).. لم يقبل فرعون بهذا الأسم المقدس العظيم، فصبت جام غظبه على تلك الماشطة المسكية التي طالما خدمهم، وقتلها وبناتها شرَ قتلة.

ففي ظل الدكتاتورية، لا يسمع لرأي يخالف رأي الدكتاتور، وإلاّ يقطع رأسه، ويرمل زوجته، ويتيم ولده، وتذب في ويل الدكتاتور.

ـ تناص مع قصة أسلام العالم الجليل ابراهيم ابن ادهم 3

ـ ((وابتلعت في ثورة غضبها عشرات من سفن الصيادين؛ إذ إنّها غضبت لأنّها أكذوبة، وما خُلقت أبداً لتكون أكذوبة، بل لتكون قدراً على شكل ماءٍ، وكذلك كانت)).. ص 48

وما خُلقت أبداً لتكون أكذوبة).. تناص من قصة (ابراهيم أبن أدهم) حيث جاء في قصة هذا العالم الجليل: قد كان إبراهيم بن أدهم واحدًا من هؤلاء الصالحين الذين كانوا من أبناء الملوك، إذ كان والده ملكًا من ملوك خراسان وكان سبب زهده أنه خرج مرة إلى الصيد فأبصر هاتفًا يهتف من ورائه : يَا

ولا بذا أُمرتَ، فحلف ألا يعصي الله تعالى، وترك ملك أبيه فأكثر من السفر في طلب العلم والازدياد من الطاعات.

فِيهِ وَرِمَنْ الكُوْرِالقُشْتُجْرِيمِّنْ قَالَ : اءِ

المُلُوْكِ، أَثَارَ ثَعْلَباً أَوْ أَرْنَباً، فَهَتَافَهَ ذَاهِ خُفِقتٌ : ؟

أَمْ بِهَذَا أُمِرتَ؟

فَنَزَلَ، وَصَادفَ رَاعِياً لأَبِيْهِ، فَأَخَذَ عَبَاءتَه، وَأَعْطَاهُ فَرَسَه، وَمَا مَعَهُ، وَدَخَلَ البَادِيَةَ، وَصَحِبَ الثَّوْرِيَّ، وَالفُضَيْلَ بنَ عِيَاضٍ، وَدَخَلَ الشَّامَ، وَكَانَ يَأْكُلُ مِنَ الحَصَادِ وَحِفْظِ البَسَاتِيْنِ، وَرَأَى فِي البَادِيَةِ رَجُلاً، عَلَّمَهُ الاسْمَ الأَعْظَمَ فَدَعَا بِهِإِنَّفَرَأَعَلَّالخَضِرِيوَقَالُ : دُ.

هذه الحادثة وغيرها دعته إلى الإعراض عن الدنيا والإقبال على الطاعات، ومما جاء في تفصيل هذه الحادثة أيضا ماورد في سير أعلام النبلاء على لسانه أنه قَالَ: كَانَ أَبِي مِنَ المُلُوْكِ المَيَاسِيْرِ، وَحُبِّبَ إِلَيْنَا الصَّيْدُ، فَرَكِبتُ، فَثَارَ أَرْنَبٌ أَوْ ثَعْلَبٌ، فَحرَّكتُ فَرَسِي، فَسَمِعْتُ نِدَاءً مِنْ لَيْسَ لِذَا خُلِقْتَ، وَلاَ بِهَذَا أُمِرْ : تَ

فَوَقَفتُ أَنظُرُ يَمنَةً وَيَسْرَةً، فَلَمْ أَرَ أَحَداً، ثُمَّ حَرَّكتُ فَرَسِي، فَأَسْمَعُ نِدَاءً أَجْهَرَ مِنْ ذَلِكَ يَا إِبْرَاهِيْمُ ! سَ لِذَا خُلِقتَ، وَلاَ بِذَا أُمِرتَ.

فَوَقَفتُ أَنظُرُ فَلاَ أَرَى أَحَداً، فَأَسْمَعُ نِدَاءً مِنْ قَرَبُوْسِ ستُ، أُنْبِهْتُسَرجَانِيبِذَالِغَيْرُفَقُوْلُاللهِ : لاَ

عَصَيتُ اللهَ بَعْدَ يَوْمِي مَا عَصَمَنِي اللهُ.

فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَخَلَّيتُ فَرَسِي، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رُعَاةٍ لأَبِي، فَأَخَذتُ جُبَّةً كِسَاءً، وَأَلقَيْتُ ثِيَابِي إِلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلتُ إِلَى العِرَاقِ، فَعَمِلتُ بِهَا أَيَّاماً، فَلَمْ يَصْفُ لِي مِنْهَا الحَلاَلُ، عَلَيْكَ بِالشَّامِ. (صفحة: دار الفتوى ـــ المجلس الأسلامي الأعلى في استرالي، إبراهيم بن أدهم الصوفي الذي ترك الملك لأجل الآخرة، 28/2/2018.

ملاحظة

بعض صور التناص، تسميه البلاغيون (التضمين).. ولذلك أشرت الى قصة الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن خطاب والصحابي الجليل سلمان الفارسي (رضي الله عنهم)، الشهيرة، في التناص وفي التضمين.. وبعض صورها تسمى عند البلاغيين بـ (الإقتباس).

فنون علم البديع

علم البديع.. علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسنا وقبولا بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح دلالته، بخلوها من التعقيد المعنوي. ((البلاغة والأسلوبية، يوسف أبو العدوس، ص 129

وفنون علم البديع كثيرة.. منها:

الإقتداء

وهو إقتداء الأديب بأسلوب القرأن الكريم، أو بأسلوب رسول الله ـ (صلى الله ـ عليه وسلم)، أو بأسلوب نص أدبي أخر، سواء أن يقتدي بالمعنى، أو بالموسيقى.. نحو:

ضحك السلطان طويلاً مما سمع , ثم صمت ، ثم أزبد)) وأرعد، وأعلن أنّ سياسة الباب المفتوح قد عُلّقتْ إلى الأبد)).. ص 60

هنا الأقتداء بأسلوب القرأن الكريم، في سورة (المدثر) أيات (16 الى 30) حيث يقول الله ـ سبحانه وتعالى : [ـ 16 ـ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ـ 17 ـ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ـ18 ـ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ـ19 ـ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ـ 20 ـ ثُمَّ نَظَرَ ـ21 ـ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ـ22 ـ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ـ 23 ـ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ـ24 ـ إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ـ 25 ـ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ـ26 ـ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ـ 27 ـ لاَ تُبْقِى وَلاَ تَذَرُ ـ28 ـ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ـ29 ـ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ـ 30 ـ]

لاحظ قول الكاتبة ((ثم صمت ، ثم أزبد وأرعد، وأعلن...)) وهي إقتداء بالجانب اللفظي الرائع للقرآن الكريم من هذه الآيات الكريمة : [ـ 18 ـ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ـ 19 ـ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ـ20 ـ ثُمَّ نَظَرَ ـ21

ـ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ـ 22 ـ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ـ23 ـ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ـ 24 ـ إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ قَوْلُ ٱلْبَشَرِ].

الإبداع

وهو أن يأتي الناظم في بيته، أو الكاتب في مقطع صغير لـه، بعـدة ضـروب مـن البـديع و البيـان و المعـاني الجميلـة، وهـي صـناعة راقيـة جميلـة لا يعرفهـا الا الكتـاب و الشـعراء الكبار.. مثل:

ـ إذ قال : ه سـيكتب لـي كلمـات مائيـة، تسـبح فيهـا أسـماك أسـطورية ملوّنـة، وتغـرق فيهـا مـدن مـن الأحلام والأوهـام، وترسـو فيهـا سـفينة العمـر.. وقال : ه سـيكتب لـي كلمـات بخيـوط الشـمس، وبجمـوح السراب)).. ص 51

هذا المقطع عبارة عن ثمان جمل، ولكن مبنية على لغة ابداعية رائعة، فيها الكثير من

1 ـ كلمات مائية .. صورة من صور التشبيه

2 ـ تسـبيح الأسـماك الأسـطورية فـي الكلمـات.. (نـادرة) مـن النـوادر الجميلـة الرائعـة.. وهـي (صـورة جميلة من صور الاستعارة المكنية)

3 ـ غـرق مـدن فـي الكلمـات.. (نـادرة) مـن النـوادر.. ينتظـر القـارئ مفاجـأة .. هـذه العبـارة فـي هذا الإطار.

ـ مـدن الأحلام والأوهـام ليسـت حقيقيـة، فكيـف تغـرق؟ 4 وفي الكلمات؟! كلها نوادر ومفاجاءات.

ـ ليست للعمر سفينة، صورة من صور التشبيه 5.

ـ كتابـة الكلمـات بخيـوط الشـمس.. صـورة نـادرة مـن 6 صور الاستعارة المكنية.

ـ كتابـة الكلمـات بجمـوع السـراب.. صـورة نـادرة مـن 7 صور الاستعارة المكنية.

أدبيات إنسانية

وهـو أن يسـتخدم الشـاعر، أو الكـاتب فـي نصـه تعـابير شـعبية مـوجزة وجميلـة، أبـدعتها الإنسـانية فـي تأريخهـا الطويـل، وهـي موجـودة علـى ألسـنة الكـثير مـن الشـعوب، وهـذا طـبيعي لأن ((غالبـا تتشـابه الخيـارات الـتي تـواجه الكـثير منـا)) (جيـف ديفديسـون، اطلاق الـذات فـي 60 ثانية، ص 40).

ومثـل هـذا كـثير فـي تلـك القصـص الموجـودة فـي (أرض الحكايـا) للـدكتورة سـناء شـعلان.. وهـذا مـا أشـير إليـه أنـا في دراستي هذا، وأجعلها ضمن المحسنات المعنوية.

وفـي هـذا المبحـث أشـير إلـى بعـض مـا أوردتـه الـدكتورة سـناء، وآتي بما هي موجودة مثلها في الأدب الشـفاهي الكوردي:

1 ـ كتبت الدكتورة سناء:

ـان يعلـمـأنّ ((هـا
مؤامرة))؟.. ص 147
وهذا موجود في الأدب الشـفاهي الكوردي وموجود على
لسان الكورد جميعا: بةقةهران (ئيكةنى))؟
!ومعناها بالعربية: ((إبتسم بقهر))؟

2 ـ كتبت الدكتورة سناء:
ـ ((قالت له ذلك في ليلة لن ينساها ما بقي في إسار
الحياة)).. ص 147
وهذا موجود في الأدب الشـفاهي الكوردي وموجود على
لسـان الكـورد جميعـا: هـةتا لـة دونيـادا مـابى، ئةوة لـةبير
!ناكا))؟
ومعناهـا بالعربيـة: ((لا ينسـى هـذا، طيلـة بقـائه فـي
!الدنيا))؟

3 ـ كتبت الدكتورة سناء:
ـ ((الـتي اعتـادت سـنونه الـتي تحصـى علـى أصـابع يـديه
الاثنتين أن تسمع صراخها في كلّ عام)).. ص 147
وهذا موجود في الأدب الشـفاهي الكوردي وموجود على
لسـان الكـورد جميعـا: ((بـة ثةنجـةى دةسـت
!دةذميَردريَن))؟
!ومعناها بالعربية: ((تحصى بعدد أصابع اليدين))؟

4 ـ كتبت الدكتورة سناء:

نسـها أبـداً ((، وحفـرت فـي ذاكرتـه)).. ص 148

وهـذا مووجـود فـي الأدب الشـفاهي الكـوردي وموجـود علـى لسـان الكـورد جميعـا: ((ئةو شـةوةى قـةت لةبيرناضيَتةوةو لة بيرةوةريية‌كانى خؤيدا هةلَيكؤليوة))؟!

تلـك ليلـة ولم يهدأ لها بال أبداً : ((، وحفرتها في ذاكرته))؟! وهو ذاته ما كتبته الدكتورة سناء.

ـ كتبت الدكتورة سناء 5:

ـ ((أنـت يـا رجـل والله ـ سـاقط مـن السـماء ولسـت مـن الأرض، أرأيت آخر عنادك؟)).. ص 146

وهذا موجود في الأدب الشفاهي الكوردي وموجود على لسـان الكـورد جميعـا: ئةو لـة ئاسـمانى(بةربوويتـةوة، خـؤ خةلَكى زةوى نيية، نابينن ضةند لاسار و لوتبةرزة))؟!

ومعناها بالعربية: ((هـو سـاقط مـن السـماء، وليـس مـن أهالي الأرض، ألا ترونه كم هو عناد و متكبر))؟!

ـ كتبت الدكتورة سناء 6:

كـثيراً ((مـا راقـب أم إدريـس وهـي تـدس ثـديها الكـبير في فم الرضيعة صباح، وتداعب خصلات شعرها، وتغضب أشـد الغضـب إذا حـاول أحـد أطفالها مقاطعـة تلـك العمليـة الهانئة التي تسمى الإرضاع)).. 148 و 149

وهذا موجود في الأدب الشـفاهي الكوردي وموجود على لسـان الكـورد جميعـا: ((زؤرجـار ضـاوى دةخسـتة سـةر

دايكـى ئيـدريس، لـة كاتيَكـدا ئةو مةمكـة طةورةكـةى دةخستة دةمى ئةو مندالَة شيرةخؤرةى ـ كة ناوى صةباح بووـ، بـة ثةنجةكانيشـى طةمـةى بـة ثرضـى ئةو مندالَـةى دةكـرد، خـؤ كـاتيَكيش يـةك لـة مندالَـةكانى لـةم كـارة خؤشةيان بثضرِاندبووواية، زؤر تورِة دةبوو))؟!

ومعناهـا بالعربيـة: نفـس الـذي كتبهـا دكتـورة سـناء.. ومـن الطـبيعي أن يتغيـر اسـم الرضـيع، أو الرضـيعة، فيكـون أحمد أو محمد أو آزاد، أو نسرين، أو شيرين... و ألخ.

7 ـ كتبت الدكتورة سناء:

ى البيت إلاّ ((في المساء)).. ص 149

وهـذا موجـودة فـي الأدب الشـفاهي الكـوردي وموجـودة علـى لسـان الكـورد جميعـا: دوو((ِؤذبـوو شـةوان نةبوواية، نةدةهاتةوة مالَيَ))؟!

ومعناهـا بالعربيـة: (لمـدة يـومين لـم يعـد إلـى الـبيت إلاّ في المساء).. هو ذاته الذي كتبته الدكتورة سناء.

8 ـ كتبت الدكتورة سناء:

ـ ((عنـدما حضـنته الجـدة ميمونـة إلـى صـدرها الكـبير المتهدل الدافيء شعر بشيء من الطمأنينة)).. ص 149

وهذا موجود في الأدب الشفاهي الكوردي وموجود على لسـان الكـورد جميعـا: كاتيَ((ك داثيـرة جوانةكـةى طرتييـة

ئاميَـزة طـةرم و نةرمةكـةى خـؤى، هةسـتى بـة جؤريَـك لـة دلَنيايي كرد))!

ومعناها بالعربية: هو ذاته الذي كتبته الدكتورة سناء.

9 ـ كتبت الدكتورة سناء:

ـ ((البحر صم أذنيه)).. ص 164

وهذا موجود في الأدب الشفاهي الكوردي وموجود على لسان الكورد جميعا: دةريا كةرِ((ة))؟!

ومعناها بالعربية: هو ذاته الذي كتبته الدكتورة سناء.

10 ـ كتبت الدكتورة سناء:

إنّ ((نا محبوسون دون أن ندري)).. ص 165

وهذا موجود في الأدب الشفاهي الكوردي وموجود على لسان الكورد جميعا: بـ(ي) ئةوةى هةست بـة خؤمان بكةين، هةموومان لة حةشسخانةين))؟!

ومعناها بالعربية: هو ذاته الذي كتبته الدكتورة سناء.

11 ـ كتبت الدكتورة سناء:

ـور عروسـاً ((لا ميت)).. ص 166

وهـذا صـورة للتعـبير عـن قسـاوة قلـب البعـض مـن رجـالات الشـرطة، الـذين لا يبـالون بـالموتى، وكـأنهم مـع ألأحيـاء، هكـذا يتعـاملون؟! وهـذا موجـود فـي الأدب الشـفاهي الكـوردي وموجـود علـى لسـان الكـورد: ((شـورتة

ویَنەطرەکە، وەکو ئەوەی ویَنەی زاوایەك بطریَ، نەك ئەوە ویَنەی مردووەك دەطریَ، بە ثیَکەنینەوە طوتی))؟!

ومعناها بالعربية: هو ذاته الذي كتبته الدكتورة سناء.

12 ـ كتبت الدكتورة سناء:

حرم من كلّ ((شيء)).. ص 170

وهذا موجود في الأدب الشفاهي الكوردي وموجودة على لسان الكورد جميعا: ((لە هەموو شتیَکی زیاتر بوو))؟!

ومعناها بالعربية هو ذاته الذي كتبته الدكتورة سناء.

13 ـ كتبت الدكتورة سناء:

ياةً قصيرةً، ومعاناةً ((طويلة)).. ص 170

وهذا موجود في الأدب الشفاهي الكوردي وموجود على لسان الكورد جميعا: ((ذیانیَکی کورت و ئازارێکی زۆری هەبوو))؟!

ومعناها بالعربية: هو ذاته الذي كتبته الدكتورة سناء.

14 ـ كتبت الدكتورة سناء:

ـ ((البعض يقول إنّه مبروك ، وإن له كرامات مع أنّهم لم يروا له يوماً ولو كرامةً واحدة)).. ص 71

وهذا موجود في الأدب الشفاهي الكوردي وموجود على لسان الكورد جميعا: ((هەندەك دەلَین: ئیماوەکی

ثيرؤزة، كةرِاماتى هةية، هةرضةندة كةسيش رِؤذيَ لة رِؤذان كةرِاماتيَكى ليَ نةديتيية))؟!
ومعناها بالعربية: هو ذاته الذي كتبته الدكتورة سناء.. تعبر عن معانات مشتركة عند مثقفي العرب والكورد، تجاه هؤلاء التجار الذين يعيشون كذبا و فجورا على لقمة البسطاء وضعفاء الإيمان.

15 ـ كتبت الدكتورة سناء:

((بها رغبته، ولكنّ ما رضخت)).. ص 127

وهذا مووجود في الأدب الشفاهي الكوردي وموجود على لسان الكورد جميعا: طةلةكى(رِاونا، بةو هيوايةى طويَرِايةلَى بكات، بةلآم طويَرِايةلى نةكرد))؟!
ومعناها بالعربية: هو ذاته الذي كتبته الدكتورة سناء.

بعد مقارنة كل هذه العبارات المستعملة في العربية والكوردية، نقول: أن كثيرا من ما هو موجود في الأدب الشفاهي العربي، موجود ايضا في الأدب الشفاهي الكوردي، لأن هذه العبارات ناشئة من (أدبيات إنسانية)، لا نسخ، ولا سرقة، ولا توراد خواطر، بل هي خلاصة التجارب، و المعانات، والقصص الإنسانية منذ العصور القديمة، وقبل نشوء الأقوام والشعوب الموجودة ألأن، على أختلاف لغاتهم، ووصلت عن طريق الأب الى أبنائه في آدآب الدنيا جميعا، هو ما نراه موجوداً في ألأدب

الشفاهي القومي للعرب، أو للكورد، أو للترك، أو لغيرهم، نراها موجوداً في صورة طبق الأصل في آلآداب الأخرى أيضا.

الإتفاق

وهو ألإتفاق بين الأثنين أو الأكثر لحالة، أو ظاهرة ــ سلبية كانت، أو إيجابية ــ لا يخفى على أحد، ويشترك الناس في معرفته، والكل ينوي وصفها ومعالجتها ضمن ما يكتبه.. ومثل هذا، موجود في ما كتبت الدكتورة سناء، والشاعر أحمد مطر، وغيرهما من الشعراء والكتاب الذين يعيشون في بيئات شرقية لا حرية فيها ولا تعدد للرأي، والوطن أصبح سجنا كبيرا لجميع مواطنيه.

يقول (الجرجاني في كتابه: أسرار البلاغة، ص 338): ((اعلم أن الشاعرين اذا اتفقا لم يخل ذلك من أن يكون في الغرض على الجملة والعموم، أو في وجه الدلالة على ذلك الغرض)). ولكن يبقى للمستوى الثقافي للكتاب أن ينتج أدبيات مختلفة، أسلوبا، وبلاغة، و فكرا، وجمالا، لأن و مثلما قال (الدكتور محمد بركات في كتابه: بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية، ص 111): ((تشكل ثقافة الشاعر ــ والأديب ــ ركائز جمالية ووظيفية في التبليغ والتوصيل))، ((ويظهر أثر التواصل البلاغي في النتاج الأبداعي، والنقدي، والتفسيري، حتى يتم الأبلاغ و التأثير، وبهذا يواكب هذا التواصل البلاغي الفروق

الفردية ويراعيها، ويتحسس جماليات الشعور الأنساني، والمستوى الحضاري والبيئي))(البلاغة العربية في ضوء السياق، محمد بركات، ص 13).. فمثلا:

ـ كتبت الدكتورة سناء في أحدى قصصها عن خوف الناس من الرؤساء والملوك المضطهدين الذين يقطعون أي لسان يخالف رؤياهم للحياة، ويستشعرنا بأن الخلاص من بطش الملوك والرؤساء الذين لا يحتكمون الى العدل الرباني، ولا الى ديمقراطيات العهد الحديث، هو الأستسلام للسكوت و سد اللسان، فتكتب وتحكي ما طويلاً وضويلاً : ((أن تأتيه رسالة من مواطن ما، وتخيل كم سيستمتع بعبثه مع مرسلها ،وطال انتظاره، ولم تصله أي رسالة، عندها غضب بشدة، وأمر أن تُرسل له الرسائل وإلاّ سيغضب ويخسف الأرض برعيته، ويجعل ماءها غواراً، ويسقط سماءها قطعاً. سمعت الرعية عن غضب السلطان واشتد رعبها.

في تلك الليلة وصلت إلى السلطان رسالة صغيرة، كُتبت بيدِ فضولية، فض السلطان الرسالة على عجلٍ وبفضولٍ، وأمر كهرمانه أن يقرأها، قرأ الكهرمان الرسالة بعينيه، ثم ابتسم، ثم شعر بقلق حيال ما سيقرأ، وللحظات شعر أنّه سيكون أول ضحايا الباب المفتوح ، قال السلطان له: ما بالك ؟ اقرأ...

بلع الكهرمان ريقه، وبدأ يقرأ ما ورد في الرسالة التي كُتب فيها: مولاي أنا ابن المزارع دهبور، عمري تسع

سـنوات، أريـد أن أعـرف لمـاذا منعـتَ الرعيـة مـن شـرب الحليـب مـع أنّـه مفيـد للصـحة، أحقـاً إنّـك تملـك بحيـرة مـن الحليب تسبح فيها محظياتك لينعمن ببشرة جميلة؟!!

ضـحك السـلطان طـويلاً ممـا سـمع ، ثـم صـمت ، ثـم أزبـد وأرعـد، وأعلـن أن سياسـة البـاب المفتـوح قـد علّقـتْ إلـى الأبد ؛ لأن الباب سيغلق، وعلى بابه أُعدم ألف طفل ثبت أنّهـم يشـربون الحليـب فـي الأحلام، والمحتجـون علـى اسـتحياء كبلّهـم جنـود السـلطان بـأغلالٍ وسلاسـل مـن ذهـب، ثم أرسلهم الى قصة أخرى، وكان حريصاً على أن يكـون فـي قصـتهم وحـوشٌ كاسـرة وأرض بلا لبـن .. وقلـب الصفحة..

وسـكت الـراوي عـن الكلام غيـر المبـاح، ولكـن الجـدات بقيـن يحـدثن الصـغار وبالسـر عـن الأطفـال الـذين أُعـدموا، لأنّهـم حلمـوا بـالحليب الـذي تسـتحم بـه جـواري السلطان.)).. ص 59و 60

وهـذا أتفـاق جميـل، مـع مـا كتبـه الشـاعر السياسـي السـاخر أحمـد مطـر، والـذي يشـير فـي شـعره إلـى الحالـة نفسـها، ويكتب عـن السـلوك ذاته، الموجـود لـدى المواطن العربـي عمومـا والشـرقي علـى وجـه الخصـوص فـي هـذه المئويـة الـتي مـرت بويـل وشـر لا مثيـل لهمـا فـي التأريـخ علـى شـعوب تلـك البلاد العربيـة والشـرقية، وهـذا جـراء دكتاتوريـة الكـثير مـن الرؤسـاء الـذين جعلـوا مـن بلـدانهم سجناً كبيراً لشعوبهم.. فها هو أحمد مطر يقول:

أختفى صوتي
فراجعت طبيبي في الخفاء
قال لي: ما فيك داء
حبسة في الصوت لا أكثر
أدعوك لأن تدعو عليها بالبقاء
حبسة الصوت
ستعفيك من الحبس
وتفيك من الموت
وتعفيك من الأرهاق
ما بين هروب وأختفاء
وعل أسوأ فرض
سوف لن تهتف بعد اليوم صباحا ومساءً
بحياة اللقطاء
باختصار
أت يا هذا مصاب بالشفاء

وكما أشرت سابقاً، أتفاق ثقافي وأدبي جميل، لأنهم يصورون الحالة السياسية لأوطان شبيهة ببعضها، وكلاهما يكتبان بصور ممتازة، وأن هناك فرقاً في الأسلوب، لكنهما مبدعان ورائعان في نسيجهما الأدبي.

في موضع آخر تكتب الدكتورة سناء: ((ما كان أحد يبالي بطفلَين يحلمان في أن يأكلا وأن يشربا في أواني

زجاجيـة، بـدل أوانيهـم النّحاسـية القـذرة المعوجـة الثّنايـا، المنبعجة القيعان)).. ص 64

الحالة نفسها موجودة في أدبيات كورد العراق في بداية الثمانينـات مـن القـرن الماضـي، عنـدما تحسـن الوضـع الأقتصـادي للعـراق، والنـاس أقبلـوا علـى اسـتعمال الأوانـي الزجاجية بدلا من النحاسية، فغير أهل المدن أوانيهم في بدايـة الأمـر، ولهـذا أطفـال القـرى يحلمـون بالأكـل والشـرب في الأواني الزجاجية.

فالحالـة الأقتصـادية هـي الـتي جعلـت مـن النـاس اللجـوء الـى التغيـر فـي وضـعهم الأجتمـاعي، ولهـذا الصـورتان فـي الأدبي الكوردي العراقي والعربي الأردني عبرت عن نفس الحالة.

ألأقتباس

أن يضـمن المتكلـم منثـوره شـيئا مـن القـرآن أو الحـديث)) تفخيمـا لشـأنه وتزيينـا لسـبكه علـى وجـه لا يشـعر بـأنه منه)) (أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص 372و 373)

فمثلا: إقتبسـت الـدكتورة سـناء مـن إحـدى نصـوص الصحافة.. فكتبت:

ولكـن البحـر عـاد لسـخطه مـن جديـد؛ لأنّـه سـمع مـن)) مصدر غير موثوق فيه أنّ القبر ليس إلاّ أكذوبة من أكاذيب

النــوارس الــتي اخترعتهــا لتــديم نطــق كلمــة " أحبــك ")).. ص 44

سـمع من مصدر غير موثوق فيه) مقتبسـة من نشـرات الأخبار وتعابير الصحافة، والتي دائما على لسان المذيعين والمذيعات.. وأصبح جزئا من التراث اليومي للأنسان.

إنّ صــرح مســؤول صــرح)) ((هــا ســتحدث بعــد ألــف عام)).. ص 56

مصــدر مســؤول صــرح) عبــارة مقتبســة مــن نشــرات الأخبـار وتعـابير الصـحافة، والـتي تـتردد دائمـا علـى لسـان المـذيعين والمـذيعات.. وأصـبح جـزئا مـن الـتراث اليـومي للإنسان.

الأشتقاق

عرفـه أبـو بكـر الـرازي بقـوله: ((ويسـمى الإقتضـاء وهـو الجمع بين المتضادين مع مراعاة المشاكلة بينهما، حتى لا يكـون أحـدهما اسـما والأخـر فعلا، بـل يكونـا: أسـمين، أو فعلين)).. (روضة الفصاحة، ص 96

فـي الصّباح وُجـد الضّـابط منتحـراً فـي غرفـة نـوم)) صديقه المنتحر)).. ص174

متجانسوا انتحار .. هما مشـتقان مـن المصدر نفسه، الذي هو: (أنتحار).

وطـأة الشّـ ((ك

والخوف أن لا يعود إلى العيادة)).. ص 140

ة متجانسة لأنّ : هما مشـتقان

من المصدر نفسه، الذي هو: (عيادة).

ـذهب غـداً ((إلـى المدرسـة ، بـل سـيفرغ

نفسه للذهاب إلى العاصمة)).. ص 103

متجانسة لأنّ يـذهب ذهـابّ .. هما

مشتقان من المصدر نفسه، الذي هو: (ذهاب).

ـ ((انتظـر يـوم إعلان النتـائج المعلـن عنـه فـي إعلان

الترشيح بفارغ الصبر)).. ص 103

متجانسة لأنّ إعلان المعلـنّ .. هما

مشتقان من المصدر نفسه، الذي هو: (أعلان).

ـواء المُسـلّ ((طة

عليها أبرزت أحزانها ووحدتها)).. ص 99

متجانسة لأنّ بـارزة ــ أبـرزتّ .. هما

مشتقان من المصدر نفسه، الذي هو: (ابراز).

ـ ((كـانت تراقـب جمـوع الحاضـرين بحـزن خـاص يناسـب

خطوطها السـوداء التي تحاصر بقعاً لونية صفراء يتيمة في

حدادٍ أسود)).. ص 99

متجانسة لأنّ السـوداء ــ أسـودّ .. هما

مشتقان من المصدر نفسه، الذي هو: (سود).

بيّ، استثمر كلّ ((سحره)).. ص 74

متجانسان لأن السـاحر ــ سـحرّ .. هما لفظتان مشتقان من المصدر نفسه، الذي هو: (سحر).

باكيـا هـو الوحيـد الـذّي يحتضـ((نيً .. لبكـائي، حزينـاً لأحزاني)).. ص 90

متجانسان لأن حزينـا ــ أحزانـيّ .. هما لفظتان مشتقان من المصدر نفسه، الذي هو: (حزن).

ــ ((تفخـر طفـولته الولـود بلـوحته المولـود الجديـد)).. ص 101

متجانسان لأن الولـود ــ المولـودّ .. هما لفظتان مشتقان من المصدر نفسه، الذي هو: (ولد).

يذكر تماماً ((متى ظهر في هذا المكان، حقيقةً لا أحد معني بالتّذكّر، فالكلّ ضائع مضاع)).. ص 71و 72

متجانسان لأن ضـائع ــ مضـاعّ .. هما لفظتان مشتقان من المصدر نفسه، الذي هو: (ضيع).

إرسال المثل

ويقـال لـه (ضـرب المثـل)، وهـو: أن يـأتي الشـاعر فـي بيتـه، (أو الكـاتب فـي فقرتـه) بمثـل أو كلام يجـري مجـرى المثل، بما فيه من حكمة، أو تنبيه، أو نحو ذلك، مما يصح أن يتمثـل بـه غيـره (العقـد البـديع فـي فـن البـديع، ص

104).. ومثـــل هـــذا موجـــود فـــي قصـــص (أرض الحكايا).. نحو:

ـ ((الأشياء الجميلة تأتي مرة واحدة فقط)).. ص36

إيّ ((اك أن تصدقي أكاذيب الجزر)).. ص 37

ـ ((الويل لقلب عشق أكذوبة الجزر)).. ص37

الويل لمن يصدّ ((ق أكاذيب الأصداف)).. ص 53

قليلةٌ ((هي أمنيات اليتامى المتحققة)).. ص 108

ـ ((البحر صم أذنيه)).. ص164

وهـذه الأمثـال سـهلة للحفـظ، لـذلك يبقـى علـى ألسـنة القارئْ و تكون جزءاً من ثقافته، ولها تأثير كبير، وإذا احتوى النـص علـى كـثير منهـا، فهـذا يـدل علـى نضـوجها وتمكيـن كاتبته من توظيف ما تريد من رسالتها في سلوك القراء.

المصدر:

* أرض الحكايا: سناء شعلان، ط 1، نادي الجسرة الثّقافيّ والاجتماعيّ، الدّوحة، قطر، 2006